

DOI: 10.54240/2318-012-001-009

خطورة التغلغل الباطني في مفاصل الدولة عند الوزير نظام المُلْك الطوسي (408-485هـ/1017-1092م) من خلال كتابه "سياسة نامه".
The dangerousness of the Shiite Batinis penetration and assuming an important positions in the State throughout the Book of "Siyasat-Nama or Siyar al Muluk" Written by the minister NIZĀM AL-MULK ELTOUSSI (408-485Hijri/1017-1055AD).

اسم ولقب المؤلف المرسل: عائشة تازي- Aicha Tazi صص 161-177

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة محاضرة أ- جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف- الجزائر.

البريد الإلكتروني: a.tazi@univ-chlef.dz

اسم ولقب المؤلف الثاني: فاطمة الزهراء عمارة- Amara Fatma zohra

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة مساعدة أ- جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف- الجزائر.

البريد الإلكتروني: fz.amara@univ-chlef.dz

تاريخ استقبال المقال: 2021/12/02 تاريخ المراجعة: 2022/01/05 تاريخ القبول: 2022/01/18

الملخص: تعدّ جهود الوزير نظام المُلْك الطوسي (408-485هـ/1017-1092م) أبرز جهود السلاجقة في مواجهة المدّ الشيعي على مختلف الأصعدة والمستويات: السياسية والإدارية العسكرية، وخاصة العلمية، وكتابه "سياسة نامه" أو "سير الملوك" عصارة تجاربه في هذا المجال، فقد وُزِرَ للسلطانين "ألب أرسلان" (455-465هـ/1063-1072م)، وابنه "ملكشاه" (465-485هـ/1072-1092م) قرابة ثلاثين سنةً، فهو أفضل ما كُتِبَ في مجال تقديم النصّح والمشورة وإرشاد السلاطين إلى أساليب السياسة؛ ألّفه الوزير نظام المُلْك الطوسي سنة (479هـ/1086م) للسلطان "ملكشاه بن ألب أرسلان"- ثالث سلاطين السلاجقة-؛ ليكون له سندًا ومرجعًا في تسيير، وتديبر شؤون المملكة، وسدّ الثغرات، وتدارك الأخطاء المرتكبة. لخصّ الوزير نظام المُلْك محتوى وأهميّة الكتاب في مقدّمته بقوله: "لذا عمدتُ إلى دَرَج كلّ ما كنتُ أعرفه أو رأيته أو خَبرته من تجاربٍ في حياتي أو تعلّمته من أساتذتي في

الموضوع في هذا الكتاب، في خمسين فصلاً ينطق فهرستها بموضوعاتٍ كلّ منها، وأوردت في كلّ فصلٍ ما يليق به من أخبارٍ وحكاياتٍ، من أقوال العظماء التي لا تبعث على الملل عند القراءة؛ بل تكون ألصق بالطبع وأقرب، إنّ في هذا الكتاب فوائد كثيرة، فمن يقرأه، ويعمل بمقتضاه ينل ثواب الدنيا والآخرة". (نظام الملك الطوسي، سياسة نامه أو سير الملوك، ترجمة: يوسف بكار، مكتبة الأسرة الأردنية، عمّان، ط3، 2012، ص47-48).

كما تحدّث الوزير نظام الملوك في الكثير من أجزاء الكتاب عن الروافض والباطنية، وخطرهم على الأمة الإسلامية من جميع النواحي، وضرورة حرمان ذوي المذاهب السيئة والمعتقدات الخبيثة، وإبعادهم عن توتّي مناصبٍ في الدولة، كما خصّ فيه فصلاً كاملاً لفضح الباطنية، وبيان فساد مذهبهم.

الكلمات المفتاحية: نظام الملوك الطوسي، سياسة نامه أو سير الملوك، السلاجقة، ملكشاه، الشيعة الباطنية.

Abstract: *The effort of the Seljuk minister NIZĀM AL-MULK ELTOUSSI to resisting the Shiite tide was one of the most important and remarkable events at that time, therefore, he used a different and various ways, methods and tools as economic, military, scientific and thought, however the scientific, thought and belief effort where the most prominent and well known in which he engaged to build a series of schools in different regions and province in the Islamic world knows as the "Nizamia schools" driven from his names."*

The famous Books of "Siyasat-Nama or Siyar al-Mulk," (479h/1086AD) was considered and still now one of the best written in this field, within operational steps and a clear commandment for those who want to roles and govern the State or kingdom, because of the minister NIZĀM AL-MULK wassum up and juicers his entire experience as a minister of the Sultan ALP-ARSALAN (455-465h/1063-1072Ad) and his sun MALIKSHAH (465-485h/1072-1092Ad) during 30 years, thus he wrote this book in order to help the sultan MALIKSHAH to role and use it as references and support to govern and manage the kingdom, fill the gap and to avoid the previous mistakes committed by the previous Islamic government in order to avoid it.

Analyzing the content of the Books "Siyasat-Nama or Siyar al-Mulk" the minister NIZĀM AL-MULK was talking and focused in many chapters on the dangers that represent the Ruffid and Batinis on the Islamic State and nation, as results to his long experience that continued more than 30 years, he

recommended and gave us a direct and a clear solution by putting all those who have bad faiths and malicious beliefs far from any kind of responsibility in order to protect the State and avoid the Ruffid and Batinis penetration risk. Moreover he devoted a full chapter to disclose and expose the Batinis and illustrate the corruption of their doctrine.

Keywords: Nizam Al-Mulk El Toussi"; "Siyasat-Nama or Siyar al Muluk"; Seljuk's; Malikshah; Shiite Batinis.

المقدمة: تناولنا في دراستنا هذه جانبًا من الجهود النظرية لنظام الملوك الطوسي (408-485هـ/1017-1092م) في مواجهة الفكر الشيعي الباطني، وذلك من خلال دراسة مؤلفه "سياسة نامه" الذي عالج فيه الكثير من القضايا أبرزها ضرورة التنبيه لخطورة الفرق الضالة، خاصة الشيعة الباطنية، فالمعروف عن الوزير نظام الملوك أنه بذل جهودًا عملية مُضنية في سبيل مواجهة تلك الفرق المناوئة، على مختلف الأصعدة والمستويات كبنائه للمدارس النظامية بغاية مقاومة الفكر الشيعي الباطني، كما جهّز الجيوش، وشدّد الحصار عليها في قلاع بلاد فارس، خاصةً معقلهم "الموت"، ووجد أنه من الضروري تنبيه سلطان عصره وسلطين الدولة السلجوقية اللاحقين لخطورتهم، مؤظفًا خبرته في مجال السياسة وبراعته في الكتابة والإنشاء، فجاءت نصائحه بأسلوب قصصي تاريخي سلس، ويبقى التساؤل: فيم تكمن أهمية الكتاب؟ وماهي أهمالوصايا التي ضمّنها كتابه التي بمقتضاها يمكن لأي سلطان أو خليفة تلافي خطر العناصر المناوئة والفرق الضالة في دولته؟.

1- التعريف بالوزير نظام الملوك: مولده، نشأته، تدرّجه في المناصب، وزارته، موقفه من الشيعة، ومقتله:

1.1 مولده، ونشأته، وتعليمه: هو أبو علي، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، الملقب "قوام الدين خواجه بزرگ"⁽¹⁾، ولد يوم الجمعة 11 ذو القعدة (408هـ/1018م)، ب"نوقان"؛ إحدى مدينتي "طوس"⁽²⁾، وكان من أولاد الدهاقين الذين يعملون في البساتين، بنواحي مدينة طوس، وقد توفيت والدته في فترة مبكرة من طفولته، فتربى في كنف والده الذي لم يكن ميسور الحال لدرجة أنه كان يطوف على المرضعات من أجل إرضاع صغيره حسبًا، دون مقابل؛ حسب ابن الأثير⁽³⁾.

نشأ نظام المُلْك فقيرًا، لكن كان عالي الهمة، فحرّص والده على تعليمه، وتلقينه اللغة العربية، باعتبارها لغة العقيدة والعلم والأدب⁽⁴⁾، ثم حَقَّظَه القرآن، وختمه، وهو ابن إحدى عشرة سنة، وأشغله بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الإمام الشافعي، وسماع الحديث واللغة والنحو⁽⁵⁾، وكانت ميوله لعلم الحديث واضحة لدرجة أنه تنقل بين الأمصار لسماعه، وذكرت المصادر أنه سمع الحديث ب"أصهبان" من أبي مسلم، محمد بن علي بن مهريزْد النحوي، وأبي منصور، شجاع بن علي، وب"نيسابور" من الإمام أبي القاسم، عبد الكريم بن هوازن القشيري، وببغداد، من أبي الخطّاب بن البطر، وغيره⁽⁶⁾.

1. 2. تدرّجه في المناصب ووزارته: خرج نظام المُلْك من عند أبيه قاصداً مدينة "غزته"، وأهلته براعته في علم الكتابة والحساب والإنشاء إلى العمل في الدواوين بخراسان، وغزته، وكان يتقن اللغتين العربية والفارسية في وقتٍ واحدٍ، فزادته إلى جانب خبرته في العمل مقدرةً وكفاءةً⁽⁷⁾، فخدم في الدواوين بخراسان وغزته، ثم اتّصل بخدمة "علي بن شاذان"، المعتمد عليه بمدينة "بلخ" - وزير السلطان ألب أرسلان-، فلما دنى أجل بن شاذان أوصى السلطان ألب أرسلان به، وذكر له محاسنه وكفاءته وأمانته وزكاه، فعيّنه السلطان ألب أرسلان في الوزارة محلّ ابن شاذان، ثم بعد وفاة ألب أرسلان (ت465هـ/1072م) اتّخذ السلطان ملكشاه وزيراً له، فحسنت سياسته وتدير شؤون الدولة السلجوقية⁽⁸⁾، وقد شغل منصب الوزارة في السلطنة السلجوقية حوالي تسعة وعشرين سنةً دبر فيها المُلْك على أحسن حالٍ⁽⁹⁾.

قال عنه الإمام الذهبي: "الوزير الكبير نظام المُلْك، قوامُ الدين، أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الطوسي، عاقل سائس، خبير، سعيد متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء"⁽¹⁰⁾، ويعود الفضل للوزير نظام المُلْك في إنشاء المدارس النظامية، وهي سلسلة من المدارس المنتشرة في أنحاء مختلفة في العالم الإسلامي هدفها مقاومة المدّ الشيعي والفكر الباطني، فقد بنى مدرسةً ببغداد، ومدرسةً ببلخ، ومدرسةً بنيسابور، ومدرسةً بهراة، ومدرسةً بأصهبان، ومدرسةً بالبصرة، ومدرسةً بمرو، ومدرسةً بأمل طبرستان، ومدرسةً بالموصل، ويقال: أنّ له في كلّ مدينةٍ بالعراق وخراسان مدرسةً، وله بيمارستاناً، ورباطاً ببغداد⁽¹¹⁾.

3. 1 موقفه من الشيعة ومقتله: اتخذ الإسماعيلية من طريقتهم في اغتيال أعدائهم من القواد والأمراء والخلفاء والسلاطين والعلماء وسيلة لإزالة كل معترض لهم، الأمر الذي أثار قلقاً شديداً في جميع أنحاء الدولة السلجوقية، فعاش الناس في خوف واضطراب يتوجسون خيفة من هؤلاء الفدائيين⁽¹²⁾، وكان أبرز عمل يُنسب إلى الإسماعيلية في عهد السلطان ملكشاه هو، قتلهم لوزيره نظام الملك في 10 رمضان، من عام (485هـ/1092م)، وهو ب"السحنة"، بالقرب من نهاوند، فبعد أن فرغ من إفطاره أتاه صبي دليلاً من الباطنية يستغيثه: مظلوم، مظلوم، فقال الوزير: "أبصروا، ما ظلامته؟"، فقال: "معي رقعة أريد أن أسلمها إلى الوزير"، فلما دنا منه ضربه بسكين كانت معه، فأرداه قتيلاً⁽¹³⁾، فتوفي بعد أن وُزر للسلطانين ألب أرسلان، وملكشاه قرابة الثلاثين سنة، ويقال في سبب مقتله: "إن السلطان قد ضاق بقوة نفوذ نظام الملك، وصور له أعداؤه كثرة ما يخرج من الأموال، فدبر مؤامرة للقضاء عليه، فتم قتله على يد فتى من فتيان الإسماعيلية الفدائيين"⁽¹⁴⁾.

وهذا الرأي فنّده المؤرخ الحسيني، بعد أن أورد لنا نص الحوار الذي دار بين السلطان ووزيره، عن الأموال الجليلة التي ينفقها نظام الملك، وأن هذا الأخير أجاب على ذلك بقوله: "...أنا أُجيش لك بهذا المال جيشاً تصل من دعائهم سبهاً إلى العرش لا يخجها شيء عن الله"، فبكى السلطان لذلك، وقال له: "استكثر من هذا الجيش والأموال مبدولة لك والدنيا بين يديك"⁽¹⁵⁾، ويذكر ابن الجوزي في أمر مقتل نظام الملك: "ودبر ذلك تاج الملك"⁽¹⁶⁾، و"تركان خاتون" زوجة السلطان ملكشاه: لأتتها أرادت من السلطان أن ينص على ولدها محمود، فثناه عن رأيه النظام- لصغر سن محمود-، فخشوا من النظام تثبيطاً عن مرادهم"⁽¹⁷⁾.

ويذهب في نفس السياق المؤرخ الراوندي الذي أكد أن تاج الملك حرّض الباطنية على نظام الملك ليقتلوه، وأردف قائلاً: "ولم يكن من عداهم- يعني الباطنية- من سائر المسلمين يُقَدِّموا على قتله"⁽¹⁸⁾، كما أن محبة الوزير نظام الملك على الأجناد والعساكر التي نافقت عن العشرين ألفاً⁽¹⁹⁾، إلى جانب تصرفه في تولية المناصب الحساسة في الدولة إلى من يثق بهم، وخاصة عندما يتعلق الأمر بأبنائه، فقد كان له اثني عشر ولداً نصّب كل واحد منهم على عمل أو ولاية⁽²⁰⁾ فكل هذا أثار ثائرة أعدائه، وسوّغوا للسلطان عزله⁽²¹⁾، حتى صار ينتظر

الفرصة المناسبة للإطاحة به، وقد صحّ في الكثير من الروايات التاريخية عن بعض المشاحنات بين السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك، حول إسرافه في أموال الرعية والتصرّف مع الأجناد⁽²²⁾.

كما أورد المؤرّخ ابن العديم قصةً تُبرئُ السلطان ملكشاه من تورّطه في قتل وزيره نظام الملك؛ مفادها أنّ السلطان ملكشاه جاء يتفقد وزيره نظام الملك، وهو يفتقده، ويتوجّع له، فقال له الوزير نظام الملك: "يا سلطان العالم، كبرتُ في دولة أبيك ودولتك، كنت تمهّلت عليّ، فما بقي من عمري إلّا القليل أو صرفتني، ولا أمرت أن يُفعل بي هكذا، فأخرج السلطان مصحّفاً في تقليده، وحلّف له بما فيه أنه لم يأمر، ولم يعلم، ثمّ قال: "وكيف أستجيرُ هذا، وأنت بركةٌ دولتي، وبمنزلة أبي؟"⁽²³⁾.

أمّا المؤرّخ ابن الأثير⁽²⁴⁾ فيؤكّد أنّ الوزير نظام الملك قُتل على يد أتباع الحسن بن الصباح⁽²⁵⁾ بعد أن ذاقوا ذرعا من الحصار الذي فرضه عليهم في قلعة الموت⁽²⁶⁾؛ إذ "سدّ نظام الملك مسالك تلك القلعة بالعساكر، بعدما تأكّدت فتنة ابن الصباح، وانتشر شررها، وكثُر ضررها"⁽²⁷⁾.

ومن خلال آراء المؤرّخين في مقتل الوزير نظام الملك يُستبعد احتمال تورّط السلطان ملكشاه في ذلك، فكلّ تلك الحجج مجتمعةً لا تخوّل للسلطان ولا تدفعه للتفكير في قتل وزيره نظام الملك؛ لما عُرف عن السلاجقة العظام من مقاومة الإسماعيلية الباطنية، ولم يشكّل نظام الملك الخطر الذي يدعو بالخليفة لاغتياله، بالاعتماد على ألد أعدائه، وإنّما ثبت عن الباطنية ترصّدهم لعلماء أهل السنّة، وقتلهم عند كلّ فرصةٍ سانحةٍ لتثبيط نشاطهم، وكان الوزير نظام الملك أحد أهدافهم؛ لما بذله من جهودٍ سياسيةٍ وعسكريةٍ وعلميةٍ لمواجهة القضاة عليهم.

وقد رثى الشاعر "مقاتل بن عطية": "المسّي ب"شبل الدولة أبي الهيجاء" الوزير نظام الملك بقوله:

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمَلِكِ لَوْلُوَّةَ يَتِيمَةً صَاغَهَا الرَّحْمَانُ مِنْ شَرَفِ
عَزَّتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْإِيَامَ قِيمَتَهَا فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدْفِ⁽²⁸⁾.

2- التعريف بالكتاب: يندرج كتاب "سياسة نامة" ضمن مؤلفات أدب الملوک وأ نصائح الملوک، وسميت من قبل الدارسين الغربيين باسم مرايا الأمراء (Mirrors for princes)، وقد اتسع نطاق انتاجها ضمن الأدبيات السلطانية، منذ أواسط القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، وهي تختلف في مضمونها كل الاختلاف عن مؤلفات السياسة الشرعية التي أنتجها الفقهاء⁽²⁹⁾، فكتب نصائح الملوک تركّز على الجانب العملي أكثر منه على الجانب النظري، وتناقش كيفية ممارسة الحكم لا جوهر الحكم وفلسفته، ويتألف محتواها من سرد أحداث التاريخ والوصايا الخلقية التي تؤيدها القصص والنماذج التاريخية المستقاة من تراث العرب وتراث الأمم الأخرى وعصور ما قبل الإسلام، إلى جانب بعض النماذج التي ترجع إلى التاريخ الإسلامي عبر مراحل مختلفة⁽³⁰⁾.

وكان أكبر دافع وراء انتشار هذا النوع من المؤلفات تشجيع السلاطين لتلك المؤلفات في محاولة السماع إلى الحكمة والموعظة التي تسهم في إبقاء ودوام ملكهم من جهة، والتصدي للأخطار المحدقة بهم من جهة أخرى، لذلك تركت تلك المؤلفات قيمة من خلال مضامينها، والتي عكست ثقافة وحاجات ذلك العصر أكثر من قيمتها التاريخية، وذلك للضعف الذي رافق توثيق العديد من نصوصها⁽³¹⁾.

1.2- سبب تأليف كتاب "سياسة نامة أو سير الملوک": عُرف عن الوزير نظام الملك سعة علمه وطول خبرته وتجربته في تسيير شؤون سلطنة السلاجقة، فقد أدرك مسائل عصره السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ لذلك طلب منه السلطان ملكشاه، ومن مجموعة من الشخصيات البارزة في عصره تأليف كتاب، يوظفون فيه خبراتهم ومعارفهم التاريخية ليصححوا الثغرات والنقائص التي عانت وتعاين منها مملكة السلاجقة، وأكد السلطان ملكشاه على ضرورة الالتزام بالشريعة الإسلامية حرصاً منه على الحفاظ على الأمانة التي أوكلت إليه في تسيير شؤون المملكة⁽³²⁾.

وذكرت المصادر التاريخية أربع شخصيات عيّنها السلطان ملكشاه للضلع بهذه المهمة، وهم: شرف الملك "أبو مسعد، محمد بن منصور الخوارزمي" رئيس ديوان الزمام والاستيفاء؛ زمن ألب أرسلان، وتاج الملك "أبو الغنائم، المزريان بن خسرو فيروز بن دارست" رئيس ديوان الطغراء والإنشاء، ومجد الملك "أبو الفضل، أسعد بن محمد القمي" استوزره

السلطان ملكشاه مدّة من الزمن، إلى جانب الوزير نظام الملّك الطوسي، فكانت المنافسة شديدة لنيل رضى السلطان والحظوة بأرقى المناصب وأرقاها، لكن في الأخير نالت رسالة نظام الملّك رضا وقبول السلطان، فخاطبه قائلاً: "كتبّت هذه الفصول كلّها كما يشتهي فؤادي، فلا مزيد"⁽³³⁾.

واستكمل الوزير نظام الملّك كتابه الذي أسماه "سياسة نامة، أو سير الملوك"، ألفه باللغة الفارسية سنة 479هـ/1086م ليساعد السلطان ملكشاه في إدارة الحكم، فأسدى به من النصائح العلمية، مع الملاحظات العميقة في طبيعة الدولة لضمان الأسس القويمة التي تركز عليها الدولة في استقرارها آنذاك؛ بل وحتى الدوّل في الوقت الحاضر، وقد أتمّ تأليفه في حدود سنة (484هـ/1090م)، فجعله في تسع وثلاثين فصلاً، غير أنّه أعاد النظر فيه، فأضاف إليه أحد عشر فصلاً أخرى بسبب توجّسه من خطر مخالفي الدولة، فأصبح خمسين فصلاً، وأورد فيها من أخبار وحكايات العظماء، بأسلوب لا يبعث على الملل⁽³⁴⁾. ويبدو أنّ الدافع من وراء إضافة فصول جديدة للكتاب هو، ما استجدّ على الساحة السياسية والمذهبية في العالم الإسلامي آنذاك، ولعلّ أهمّها عودة الحسن الصبّاح من مصر سنة (480هـ/1087م)، داعياً للفاطميين، ومنظّماً لصفوف الإسماعيلية، وعليه أضاف الفصول الأخيرة للحديث عن الفرق الضالّة، محدّراً السلطان من الحسن الصبّاح وأتباعه، موضّحاً الخطر الكبير الذي يهدّد السلاجقة والدولة الإسلامية بشكل عام، من جرّاء تحصّن هذه الفرق الضالّة بالقلاع في بلاد فارس، وفي نفس الوقت، فإنّه لفت انتباه السلطان إلى ضرورة الجدّية في مواجهتهم والقضاء عليهم، وعلى أعوانهم قبل أن يستفحل خطرهم، ويشتدّ عودهم بكثرة أتباعهم⁽³⁵⁾.

تمّ طبع الكتاب لأوّل مرّة على يد "شيفر" المستشرق الفرنسي في باريس عام (1310هـ/1892م)، ثمّ طبع في إيران على يد "خلخالي" في نفس السنة، وصدرت بعد ذلك نسخة "عباس إقبال"، وأخيراً نشره الدكتور "محمّد العزّاوي" بالتعاون مع "بنياد فرمنك إيران"، وقد تُرجم الكتاب إلى اللغة العربية والإنجليزية والتركية، وطبع عدّة مرّات لأهمّيته⁽³⁶⁾.

2.2 أهمية الكتاب: ألف الوزير نظام الملوك كتابه "سياسة نامة" تلبيةً لرغبة سلطانه ملكشاه؛ لكي يتخذ دستورًا يتبع في إدارة الحكم والدولة وتسيير الأمور بالعدل والحق والعزم، وتحدث فيه عن الآداب والنظم الملكية وسيّر الملوك والعظماء، فالكتاب يعتبر من هذه الوجهة كتابًا في التاريخ والسياسية والاجتماع⁽³⁷⁾، فكتاب سياسة نامة ليس كتابًا تاريخيًا؛ لأن صاحبه لم يؤلفه لذلك الغرض، لكن فيه فوائد تاريخية مهمة، لما فهمن الأخبار والروايات التاريخية.

كما اشتمل بالمقابل على الآراء السياسية التي كان يراها واحدًا من أنبيغ الوزراء الذين ظهروا في المشرق وأطولهم عهدًا: "ومن أهم ما في الكتاب تحليل المشاكل التي سوف تظهر بعد موت السلطان ملكشاه في النظام السلجوقي، وكشف مدى الدعوة الإسماعيلية المتزايدة يومذاك في إيران ومدى خطرها"⁽³⁸⁾، والذي خصص له الوزير نظام الملوك عدّة فصول حيث يقول: "أدرجت في خروج هؤلاء القوم خاصّةً-الباطنية- بابًا موجزًا في كتاب السير هذا، يشتمل على أهم ما يتعلّق بهم من مثل: من هم الباطنية؟، وما مذهبهم، واعتقادهم؟، أين ظهروا بادئ ذي بدء؟، كم مرّة خرجوا، وعلى يد من قُهرُوا، وهُزِمُوا في كلّ مرّة؟، فما هذا إلا تذكرةً لأرباب الملوك وحُماة الدين"⁽³⁹⁾.

وقد أدرك الوزير نظام الملوك مكان الخلل التي من شأنها الإطاحة بالدول، فكشف عن أحقاد مخالفي الدولة من وزراء وولاة وعمالٍ وطامعين وأعداءٍ متربّصين، وفضح ذوي المذاهب الخبيثة الفاسدة، وبيّن طرق التصديّ لهم، فقد كانت على تعددها وكثرة أسمائها تنضوي تحت راية الباطنية الكبرى، لا هدف لها سوى تقويض الإسلام، ومحق المسلمين والقضاء على دولتهم⁽⁴⁰⁾.

3- تنبؤ الوزير نظام الملوك بخطر الباطنية من خلال الوصايا التي قدّمها للسلطان ملكشاه: أظهر السلاجقة منذ دخولهم إلى بغداد نيّتهم، واستعدادهم لمواجهة الوجود الشيعي في المشرق الإسلامي، ونلمس ذلك في الرسالة التي كتبها السلطان "طغرلبيك" (429-455هـ/1037-1063م) للخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/1037-1075م)، وهو يستأذنه في دخول بغداد، فقد أظهر أنّه يريد الحجّ وإصلاح طريق مكّة والمسير إلى الشام ومصر، والقضاء على حكم المستنصر بالله العبيدي (427-487هـ/1035-1094م) هناك⁽⁴¹⁾؛ إذ كان

لدخول طغرل بك بغداد الفضل الكبير في القضاء على نفوذ البويهيين الشيعة، وساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد، ونصروا مذهبها السني، بعد أن أوشكت على الانهيار، وقضى السلاجقة على النفوذ البويهي تمامًا سنة 447هـ/1055م. ولم تتوقف جهود السلاجقة عند هذا الحد؛ بل تعدت إلى السعي إلى القضاء على الدولة العبيدية في مصر وبلاد الشام، وقد نجح السلاجقة في هذا المشروع، بفضل جهود السلطان ألب أرسلان (455-465هـ/1063-1072م)، وابنه ملكشاه (465-485هـ/1072-1092م)، بتوجيه من وزيرهم نظام الملك الطوسي؛ فانحصر ملك العبيديين في مصر، وألت إلى الضعف والانحطاط.

وتعددت ألقاب الباطنية في العالم الإسلامي⁽⁴²⁾ لكن أصلهم وعقيدتهم واحدة، فقد كان يقال لهم: "الإسماعيلية" في حلب ومصر، "والسبعية" في قم، و"كاشان"، و"طبرستان"، و"سبزوار"، و"القرامطة" في بغداد وما وراء النهر، و"غزنيين"، و"المباركية" في الكوفة، و"الراوندية"، و"البرقعية" في البصرة، و"الخلفية" في الري، و"المخمرة" في جرجان، و"المبيضة" في الشام، و"السعدية" في المغرب، و"الجنازية" في الأحساء والبحرين، والباطنية في أصفهان، و"التعليمية" بخراسان، وكان هدفهم تقويض دعائم الإسلام والمسلمين، والعمل على غواية الخلق وضلالهم⁽⁴³⁾.

عاصر الوزير نظام الملك الطوسي ظهور فرقة إسماعيلية جديدة في بلاد فارس هي، فرع من العبيديين بمصر، فبعد وفاة الخليفة المستنصر سنة 487هـ/1093م ضعفت الدولة، ودخلت في مرحلة جديدة عُرفت بعصر سيطرة الوزراء بداية من الوزير بدر الجمالي (ت 487هـ/1094م)، ثم ابنه الأفضل (487-515هـ/1094-1121م) الذي انحرف عن نهج الإسماعيلية في تعيين الإمام، وأخذ البيعة للمستعلي (487-495هـ/1094-1101م) الابن الأصغر للمستنصر بدل نزار الابن الأكبر، وعلى إثر ذلك انقسمت الدعوة الإسماعيلية إلى المستعلية بمصر، والنزارية في بلاد فارس⁽⁴⁴⁾ التي عُرفت في التاريخ بالحنشاشين⁽⁴⁵⁾، وقد شكّلت هذه الأخيرة خطرًا فعليًا على دولة السلاجقة، فاستشعر الوزير نظام الملك ذلك الخطر، فنابّه السلطان له، وبذل غاية جهده في مواجهتهم.

وقد أرجع بعض الباحثين سبب نجاح الدعوة الإسماعيلية الباطنية واستفحال أمرها إلى أخطاءٍ في سياسة السلاجقة، ومنها: أنه لم تكن للدولة أصحاب أخبار⁽⁴⁶⁾؛ أي: ديوان بريد يأتي لهم بأخبار الإسماعيلية، فألحَّ الوزير نظام الملَّك على ملكشاه بضرورة إعادة تفعيل نظام البريد الذي كان السلطان ألب أرسلان قد ألغاه⁽⁴⁷⁾.

ونظرًا لتنبه الوزير نظام الملَّك لخطر الشيعة الباطنية، فقد بذل غاية جهده لاستئصالهم من جذورهم، فعمل على تجهيز العساكر والجيوش لقمعهم في معانهم، وذلك لما كان يراه من شمائل أحوالهم الفاسدة وخطرهم على المجتمع⁽⁴⁸⁾، كما عُرف الوزير نظام الملَّك بمواقفه الحازمة ضدَّ فرق الشيعة، خاصَّةً الإسماعيلية بعد أن أدرك نجاحهم في كسب أعدادٍ كبيرةٍ من عامَّة الناس، فبدأ بتأسيس عددٍ من المؤسَّسات التعليمية من أجل توعية العامَّة وتحصينها ضدَّ دعوات الإسماعيلية، وهذه المؤسَّسات عُرفت بالمدارس النظامية، وقد أنشئت في بغداد، ونيسابور، وأخرى بطوس، وغيرها من المدن⁽⁴⁹⁾.

في حين وجد الوزير نظام الملَّكاته من الضروري تنبيه السلاطين لهذا الخطر الداهم الذي كان يسعى للإطاحة بالأمة الإسلامية في شرك انحرافها وغلَّوها، فترجم تلك النصائح في كتابه سياسة نامة، حيث ربط مصير استقرار أمور المملكة بالقضاء على الباطنية والرافضة، وذكر أنَّها أولى اهتمامات السلطان بقوله: "إنَّه ليس ثمة فرض أولى على أيِّ ملكٍ يظهر هؤلاء- يقصد الباطنية والرافضة- على عهده من محوهم من على وجه المعمور، وتخليص مملكته من شرهم وتصفيتهما منهم، لهنأ في ملكه ودولته، ويعيش عيشةً راضيةً"⁽⁵⁰⁾.

والملاحظ أنَّ الوزير نظام الملَّك قد قدَّم النصح للسلطان ملكشاه بضرورة تقريب العلماء والفقهاء ومعاشرتهم والإحاطة بأمور الدين والشريعة، لتتسع أمامه المعرفة بالأمور الدينية والدينيوية، من أجل سدِّ المنافذ على أعداء الدين والقضاء على أهل البدع والأهواء، خاصَّةً الشيعة الباطنية، واستئصال جذور الشرِّ والفساد والفتنة، فينقرض المفسدون⁽⁵¹⁾؛ لأنَّه حسب رأي الوزير نظام الملَّك "ليس ثمة فرقة أكثر شؤماً وتخريباً وسوءاً من هؤلاء القوم- الباطنية- لأنَّهم يُبيِّتون الشرِّ لهذه المملكة من وراء حجابٍ، ويسعون إلى الدين، كلَّهم أذانٌ صاغية تنتظر نداء القيام على الدولة، وأعينٌ ساهرةٌ تترقب إشارة الخروج عليها"⁽⁵²⁾.

4- تحذير الوزير نظام المُلْك من خطورة تولّي الباطنية مناصب حسّاسة في الدولة: كانت وصايا الوزير نظام المُلْك للسلطان ملكشاه خالصةً لوجه الله؛ لأنّه كان متديّنًا خيّرًا، فقيّهًا بأمر الدين، وقد قال عنه المؤرّخ هندوشاه ابن خجواني: "كان طاهر الاعتقاد جدًّا، مسلم القلب، وكان له من غمّ الآخرة أكثر ممّا له من غمّ الدنيا"⁽⁵³⁾. كما عُرف بإخلاصه لسلطين السلاجقة، وخاصةً للسلطان ملكشاه، وتفانيه في خدمتهم. وهذا ما نلمسه في ثنايا كتابه، فمثلاً يقول: في باب عرض ذوي المذاهب الخبيثة أعداء المُلْك والإسلام: "وددتُ أن أكتب بضعة فصولٍ في خروج الخارجين؛ ليعلم العالم أجمع مدى إشفاعي على هذه الدولة وشدة هواي وميلى للمُلْك آل سلجوق، لا سيّما لمولاي- ملكشاه- خلد الله مُلكه وأبنائه وأسرته، وجنّب الله عهده شرّ الحسد والعين"⁽⁵⁴⁾.

كما لم يغفل الوزير نظام المُلْك عن الباطنية وفسادهم ومكرهم، فلطالما نبّه السلطان ملكشاه لشُرهم وسوء فعلهم⁽⁵⁵⁾، وألح على ضرورة حرمانهم من تولّي مناصب وأعمال في الدولة، وعزلهم إن وُجدوا، فالباطنية في نظر الوزير نظام المُلْك كالأفعى الماكرة، فهم خطرٌ خفيّ يعملون على الإطاحة بالدول من خلال تولّي أكثر من منصبٍ، ومن ثمّ حرمان ذوي الكفاءة والأمانة من الوصول إلى السلطان؛ ليجعلوا منهم فئةً مهمّشةً يستعينون بهم فيما بعد في الانقلاب على الملك احتجاجًا على أوضاعهم المتردّية، فيُربكون الأمن والاستقرار⁽⁵⁶⁾.

وأكد الوزير نظام المُلْك أنّ استفحال خطر الباطنية متعلّقٌ بمدى قوّة وحزم السلطان، ونلمس ذلك من خلال إشارته إلى بعض الشخصيات التاريخية التي أثبتت صحّة فرضيته، وضرب مثالًا بالسلطان محمود الغزنوي⁽⁵⁷⁾، وأخيه مسعود، وسلطين السلاجقة طغرلبيك، وألب أرسلان، موضّحًا كيف تعاملوا بحزم مع الباطنية لدرجة أنّهم لم يتجرؤوا على إظهار أنفسهم، فعاش السلطان والعامّة في منأى عن المصائب والمتاعب والآفات، وعمّ الرخاء والاطمئنان⁽⁵⁸⁾.

ويُرَدِّف الوزير متحدّثًا عن عصره، وكيف تولّى أهل البدع والأهواء من الباطنية، وغيرهم شؤون الإدارة للسلاجقة موضّحًا خطرهم بقوله: "لكن لا وجود لهذا اليوم؛ لأنّه يسمح للمهودي والزرادشتي، والرافضي بتولّي الكتابة للأتراك وإدارة شؤونهم، ولقد استولت عليهم الغفلة، فليس فيهم حميةٌ على الدين، ولا شفقةٌ على المال، ولا رحمةٌ بالرعية...ولست أدري إلام ستؤول الأمور..."⁽⁵⁹⁾.

وحسب الوزير نظام المُلْك أنّ السلاجقة الأوائل كانوا حذرين في التعامل مع الباطنية وذوي المذاهب السيئة، ولم يكونوا ليُجيزوا استخدامهم أو تولّيّتهم أيّ عملٍ، وكانوا يقولون: "هؤلاء على

مذهب الديالمة- الشيعة- ومن أتباعهم، فإن يوطدوا أقدامهم يُلحقوا بالأترك الضرر، ويُحقوا بالناس الأذى، إنّه لمن الخير ألا يكون للأعداء وجودٌ بين ظهرانينا⁽⁶⁰⁾.

ولأنّ الوزير نظام الملّك قد وزر للسلطان ألب أرسلان قبل ملكشاه، فإنّه يورد لنا مدى حزّم ألب أرسلان مع الباطنية الذي نسب إليهم الكفر في أحد مجالسه، وكيف حدّر من مغبة انقضاضهم على الدولة، إن هُم استشعروا ضعفها وتهاونها، وأكّد على ضرورة تتبّعهم واحداً واحداً، وسدّ المنافذ أمامهم، من تويّ آية مناصب في الدولة، فيقول: " ...إنّهم إذا ما أخذوا يتسرّبون إلى صفوف التُرك واحداً في إثر واحدٍ، ويتسّمون لهم الأعمال والكتابة، ويقفون إلى أحوالهم من كتب، لن يمضي طويلاً وقتهداحتى يظهر التمرد والخروج والفتنة في العراق أو على إغارة الديالمة على المملكة ، فهم جميعهم متكاتفون سرّاً وعلانيةً يسعون بينهم إلى هلاك التُرك⁽⁶¹⁾ ..⁽⁶²⁾.

والظاهر أنّالوزير نظام الملّك كثيراً ما كان يُلّمح في كتابه ونصائحه لبعض الشخصيات المقربة من السلطان ملكشاه، والتي لمس فيها ميلاً إلى التشييع، وقد استشعر فيهم المكر بالسلطان، وتحريضه على الانقلاب على الخلافة العباسية، بحجة عدم أحقية آل العباس في خلافة المسلمين. ومن خلال تاريخ تأليف الكتاب سنة 484هـ/1091م، وبالمقارنة مع تاريخ وفاة السلطان ملكشاه، ووزيره نظام الملّكسنة(485هـ/1092م) نجد أنّه لم يتسنّ للوزير نظام الملّك تبييض الكتاب في نسخة نهائية، فعلى الرغم من كلّ هذه النتائج والتدابير التي تضمّنها الكتاب إلا أنّه لم يستفد منه السلطان، ولم يُكتب له توظيفها على أرض الواقع، إلا أنّه بقي كتاباً ودستوراً استفاد منه السلاجقة الألاحقون خاصةً وهو فخر المسلمون عامّةً.

الخاتمة: يمكن تدوين جملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها من كتابتنا هذه أهمّها:

- 1- تفضنّ الوزير نظام الملّك لخطورة التغلغل الباطني في مفاصل الدولة، وترجم ذلك في كتابه "سياسة نامة" الذي يعتبر دستوراً يصلح الاعتماد عليه في كلّ الأزمنة؛ لمواجهة مثل تلك الأخطار.
- 2- كان الوزير نظام الملّك ذكياً ومُحنكاً في قراءة وتوظيف التاريخ وتجارب وخبرات السابقين، واستنباط الدروس والعبر ومحاولة ترجمتها في كتابه سياسة نامة على شكل نصائح للاستفادة منها، وتوظيفها من طرف السلطان ملكشاه والسلطين اللاحقين به.
- 3- نبّه الوزير نظام الملّك لمبدأ التقية الذي اتّبعه الشيعة الباطنية، وكيف عملوا بذلك على تويّ عددٍ كبيرٍ من الوظائف وحرمان ذوي الخبرة والكفاءة، فتمّ لهم بذلك إضعاف الدولة، فكانوا أحد

أسباب الإطاحة بها، كما أنّهم بذلك يكونوا قد شكّلوا فئةً معارضةً تتّهم السلطان بالإهمال، ومستعدةً للاستعانة بالأعداء من أجل التمتع ببعض حقوقهم المنتهكة حسب زعمهم.

4- عمل الشيعة الباطنية على التشكيك في الشخصيات المهمة، وتلفيق التهم لها بغية عزلها أو قتلها أو في أحسن الحالات تجريدها من صلاحياتها، فتخلو لهم الساحة لبيت أتباعهم في مختلف القطاعات والعمل على تحسّس مكامن القوّة والخلل في الدولة، ثمّ استغلال الفرص من أجل الانقضاض عليها.

5- يعتبر الشيعة بمثابة سرطان ينخر جسد الأمة الإسلامية، فإنّ تفتن الحكّام لخطرهم منذ البداية، وأخذوا حيطتهم منهم تيسّر القضاء عليهم، لكنّ إنّ أهملوا مخطّطهم وكثّر عددهم صبّغت زحزحتهم، وأهلكوا الأمة بفسادهم وضلالهم وانحرافهم.

6- إنّ عقيدة الشيعة في زعمهم بأحقّيّة آل البيت في خلافة المسلمين، وطبيعة فكرهم القائم على إقصاء الآخر أو إقصاء المخالف تجعلهم خطرًا حقيقيًا على كلّ كيانٍ سياسي، غير شيعي لا يتبني أفكارهم ومعتقداتهم، وهم يعملون على هذا على المدى البعيد، وهم مستعدّون أن يضعوا أيديهم في أيادي كلّ أنجاس الأرض إذا كان العدو من أهل السنّة، ولذلك يعتبر التغلغل الباطني في مفاصل الدولة بمثابة خلايا نائمة منتشرة تنتظر الأمر من زعاماتها للإطاحة بالدول السنيّة وإقامة دول شيعية باطنية.

7- إنّ الموقف الحازم الذي عرّف به الوزير نظام الملّك الطوسي ضدّ الشيعة والباطنية جعله عرضةً لمؤامرة انتهت بقتله غيلةً على يد أحد الفداوية التابعين لهم، وعلى الرغم من تعدّد الروايات في مقتله، لكنّها تتفق في الأخير على توّرت الباطنية في ذلك.

الهوامش:

1-خواجه: كلمة فارسية، تعني: الأستاذ أو العالم أو الحاكم أو الوزير، وكلمة بزرك، معناها: العظيم أو الجليل أو الرئيس، ينظر- أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي- سراج الملوك- تحقيق محمد فتحي أبو بكر- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- ط1- 1994- ج2- ص 513، كمال الدين بن عمر بن أبي جرادة ابن العديم- بغية الطلب في تاريخ حلب- تحقيق سهيل زكار- دار الفكر العربي- بيروت- 1988- ج5- ص2478. كما لقّب نظام الملّك بألقاب عديدة منها، تاج الحضرتين، وذلك لأثّه وزرلسلطانين، ومنح من دار الخلافة لقب "رضي أمير المؤمنين"، وهو أول لقب يطلق على وزير سلجوقي من قبل الخلفاء العباسيين. ينظر- صدام جاسم محمّد البياتي- الوزير نظام الملّك وأثره في تقدّم الحركة العلمية في المشرق الإسلامي- مجلة ديالي- العدد الثالث والخمسون- العراق- 2011- ص 1.

2- طوس، مدينة بخراسان، بقرب نيسابور تشتمل على بلديتين يقال لإحدهما: "الطابران"، وللأخرى "نوقان"، ولهما أكثر من ألف قرية فُتحت أيام الخليفة عثمان بن عفّان -رضي الله عنه-، على يد عبد الله بن عامر بن كريز سنة (29 هـ / 651م) خرج منها جماعة من العلماء والمحدّثين قديمًا وحديثًا. وفي جبالها معادن الفيروزج، وينحت منها القصور البرام، وغيرها من الآلات حتّى قال بعضهم: "قد ألان الله لأهل طوس الحجر كما ألان لداود عليه السلام الحديد". ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج4- ص49- 50 ، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي السمعاني- الأنساب- تحقيق- محمّد عوامة - مكتبة ابن تيمية- القاهرة - ط2- 1980- ج8 - ص 263. زكريا بن محمّد بن محمود الفزوي - أثار

- البلاد وأخبار العباد - دار صادر بيروت-(دت) - ص 411-3- ابن الأثيرعز الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم الشيباني الجزري(ت630هـ/1232م)- الكامل في التاريخ- تحقيق- محمّد يوسف الدقاق- ج8- دار الكتب العلمية، بيروت- ط1- 1987- ص 480
- 4- هيفاء عبد الله علي البسام-الوزير السلجوقي نظام الملك - رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي- جامعة الملك عبد العزيز-المملكة العربية السعودية- 1980-ص38-5- ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب-تحقيق- عبد القادر الأنزوط- محمود الأنزوط-ج5- ط1- دار ابن كثير- بيروت-1989- ص362-364. السبكي-طبقات الشافعية الكبرى- تحقيق- عبد الفتاح محمّد الحلو- محمود محمّد الطناحي- ج4- دار إحياء الكتب العربية-(دت)- ص 312. ابن كثير عماد الدين أبو الفدا إسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م)- البداية والنهاية- تحقيق- محمّد محمّد تامر وآخرون- دار البيان العربي- القاهرة- 2006- ص 532.
- 6-وقد ذكر ابن العديم غيرهم من المحدثين الكثير. ينظر-المصدر السابق- ج5 - ص 2478. السمعاني- المصدر السابق - ج12- ص 262. وقد أملى الحديث ببغداد مجلسين:أحدهما بجامع المهدي بالرصافة، والآخر بمدرسته، وكان يقول: "مذهبي في علوم الحديث غير مذهب أصحابنا، إنهم يذهبون إلى أنّ الحديث العالي ما قلّ رؤاؤه، وعندني: إنّ الحديث العالي ما صحّ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم وإن بلغته رؤاؤه المائة"، أما عن روايته للحديث، فيقول: "إنّي أعلم أنّي لستُ أهلاً للرواية، ولكنّي أريد أن أربط نفسي على قطار النقلة لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-". ينظر-السبكي - المصدر السابق - ج4 - ص 318، ابن العديم -المصدر السابق - ج5 - ص 2486. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد (ت597هـ/1200م)- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم- تحقيق-محمّد عبد القادر عطا- مصطفي عبد القادر عطا- ج16- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1992- ص304-7- هاني أبو الرّب-الوزير نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية- مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية-المجلد 21- العدد 3- 2007- ص 870-8- ابن عماد الحنبلي- المصدر السابق- ج5- ص363
- 9-ابن الجوزي-المصدر السابق- ج 16- ص 302. ابن كثير- المصدر السابق- ج6- ص532-10-الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز- سير أعلام النبلاء- تحقيق- شعيب الأنزوط-محمّد نعيم العرق سوسي-ج19- مؤسّسة الرسالة - بيروت - ط1- 1982- ص94-11-الذهبي-المصدر السابق- ج19- ص94. السبكي- المصدر السابق-ج4-صص313-314-12- قتل الفداوية جمعا كبيرا من العلماء والقادة منهم: الخليفة المسترشد، والراشد، والوزير نظام الملك، ويكتمر: صاحب أرمن، والقلمش؛ صاحب العراق، والأمير مودود؛ صاحب دمشق. ينظر- القزويني- المصدر السابق- ص 302-13-ابن الجوزي-المصدر السابق- ج16- ص305.السمعاني-المصدر السابق-ج12- ص 262. الحسيني صدر الدين أبو الحسن علي بن أبو الفوارس ناصر بن علي- زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية- تحقيق- محمّد إقبال- لاهور- 1993-ص67.. القزويني- المصدر السابق-ص412.ابن العديم-المصدر السابق- ج5- 2496.أبو منصور الثعالبي- تحفة الوزراء- تحقيق- سعد أبو دية- دار البشير- عمّان- ط1- 1994. ص 34.
- SanullahMawlawiFadil,The decline of the Saljuqid Empire, University of Calcutta,INDIA, 1938, p:61
- 14- ابن الأثير- المصدر السابق- ج8-ص 478، ابن الجوزي- المصدر السابق- ج16-ص 305، 306. الذهبي-المصدر السابق- ج 19- ص94-15- الحسيني- المصدر السابق-ص68-16- تاج الملك أبي الغنائم المزريان بن خسروفيروز؛ المعروف ب"ابن دارست"، كان عدواً لنظام الملك، وكان كبير المنزلة عند مخدومه ملكشاه، فلما قتل رتبّه موضعه في الوزارة، ثم أنّ غلمان نظام الملك، وثبوا عليه فقتلوه، وقطعوه إربًا إربًا في ليلة الثلاثاء 12 محرّم (486هـ/1092م)، ابن خلكانأبو العباس شمس الدين (ت681هـ/1282م)- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق- إحسان عباس-ج2- دار صادر- بيروت -1969-ص131. 17- ابن الجوزي- المصدر السابق- ج16- ص306.
- 18- - الراوندي، محمّد بن علي بن سليمان (ت بعد 603هـ/1206م)- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية- ترجمة- إبراهيم أمين الشواربي- عبد النعيم محمّد حسنين- فؤاد عبد المعطي الصياد-دار القلم- القاهرة-(دت)- ص209-19- الحسيني- المصدر السابق- ص68-20-الراوندي- المصدر السابق- ص 206. ويذكر ابن الجوزي أنّ له من الأولاد خمسة من وزروا للسلطين، ويعدّ ابنه أبو نصر أحمد وزير الخليفة المسترشد العباسي أكبر نموذج على توسع دائرة صلاحياته، ابن الجوزي-المصدر السابق- ج 16- ص305.ابن طباطبا- المصدر السابق- ص 412.السمعاني- المصدر السابق-ج12- ص 263-21- الثعالبي- المصدر السابق-35.
- 22-وقد أشار نظام الملك إلى تلك الادّعاءات التي نسبها إليه أعدائه فيما يخصّ تصرّفه في الأموال وإسرافه في إنفاقها. ينظرنصّ عتاب ملكشاه لنظام الملك لكثرة إنفاقه على العلم والعلماء، ونصّ عتاب ملكشاه لنظام الملك بسبب تولية خزيجي مدارسه وأقربائه في مناصب إدارية وسياسية، وردّ فعل نظام الملك. الطرطوشي أبو بكر محمّد بن الوليد الفهري- سراج الملوك- تحقيق- محمّد فتحي أبو بكر- ج2- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- ط1- 1994- ص 514-515. ابن الأثير-المصدر السابق- ج 8-ص478-479-23-ابن العديم-المصدر السابق -ج5- 2497-24-ابن الأثير- المصدر السابق- ج9- ص39.

- 25- هو الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسن بن محمد بن الصباح الحميري، من أصل عربي، يتصل نسبه بملوك حمير اليمانيين، ولد سنة (1052/444هـ) في مدينة "قُم" بمقاطعة الري ببلاد فارس، التي كانت معقلاً قويا للشعبة الأثني عشرية التي ينتهي إليها أبوه، انتقل مع والده إلى الري، وهناك تلقى تعليمه الديني، وكانت الري مركزاً للتعلّم الشيعي الإسماعيلي، منذ (القرن 9 م)، توفي في أوت سنة (518 هـ/1124م)، فيكون قد عاش أربعاً وسبعين عاماً قضى منها، خمساً وثلاثين عاماً في حكم دولة الموت الإسماعيلية الزنابية التي شيدها، قال عنه ابن عماد الجنبلي: "كان داهية، ماكراً، زنديقاً، من شياطين الإنس". ينظر- ابن عماد الجنبلي- المصدر السابق- ج-6- ص9.. عارف تامر- تاريخ الإسماعيلية- الدولة الزنابية- رياض الرئيس للكتب والنشر- قبرص- ط1-1991- ص77.
- 26- قلعة الموت، معناها بالفارسية: ألوه أموت" ومعناها: "عش العقاب، ومعناه بلغة الديلم: "تعليم العقاب أو النسر": لأن كلمة الموت هي نفس كلمة "أموخت"، ومعناها تعليم بلغة أهل الديلم، وقيل: أن الذي بناها أحد ملوك الديلم القدامى، فبينما كان خارجاً للصيد ذات يوم أطلق نسرًا مدرّبًا، فاعتلى صخرة، وأدرك الملك القيمة الإستراتيجية للموقع وبنى عليه من فورهِ قلعة أسماها "ألوه أموت"; بمعنى "عش النسر أو العقاب"، وذكر القزويني أن تسميتها جاءت من تاريخ بناها؛ لأنها بنيت سنة (446هـ/1054م)، وهي، موت بلغة الديلم، وهي قلعة حصينة شمال مدينة قزوین، بينها وبحر الخزر ببلاد الديلم، ويقال: أن الحسن بن الصباح بعد أن أصبح سيّدًا لها لم يغادرها مرّةً واحدة منذ دخوله سنة (483هـ/1090م)، حتّى وفاته سنة (518هـ/1124م)، كما ذكر ابن الأثير- المصدر السابق- ج-10- ص131. القزويني- المصدر السابق- ص301. خواندمير محمد بن خواندشاه (ت903هـ/1497م)- روضة الصفا في سيرة الملوك ولأئبياء والخلفاء- ترجمة- أحمد عبد القادر الشاذلي- الدار المصرية للكتاب- القاهرة- ط1-1988- ص242....27- الحسيني- المصدر السابق- ص139.
- 28- الحسيني- المصدر السابق- ص71. ابن الجوزي- المصدر السابق- ج-16- ص307. ابن خلكان- المصدر السابق- ج-2- ص130.
- 29- ونقصد بها، كتب السياسة التي تهتم بصياغة القواعد التي تحدّد المبادئ العامة التي جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتجربة التاريخية للأمم، للتأكيد على شرعية الخلافة تاريخيًا، وإثبات أهميّة وحدة الأمة، وتجنّب الفتنة، وحفظ الشريعة، وإبراز مفهوم العدالة، ومن رواد هذا الإنتاج السياسي نجد: أبو يوسف، الماوردي، الغزالي، الجويني، ابن تيمية... ينظر- عليان عبد الفتاح الجالودي- قواعد الحكم في سلطنة آل سلجوق من خلال كتاب سياسة نامه لنظام الملك الطوسي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية- المجلد الخامس- العدد1-2009- ص216.
- 30- عبد الفتاح الجالودي- المرجع السابق- ص216....31- نوفل محمد نوري- دوافع التأليف في كتب أدب الملوك في العصر العباسي الأخير- مجلة التربية والتعليم- المجلد 18- العدد 4- جامعة الموصل-2011- ص81-83....32- نظام الملك الطوسي- سير الملوك أو سياسية نامه- ترجمة- يوسف بكر- مكتبة الأسرة الأردنية- عمان-2012- ص47....33- عبد الهادي محمد رضا محبوبية- نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية- دراسة تاريخية في سيرته وأهم أعماله أثناء استيثاره"- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- ط1-1999- ص466، 467. هيفاء عبد الله علي البسام- المرجع السابق- 1980- ص181....34- نظام الملك الطوسي- المصدر السابق- ص47، 48. خليفة حاجي- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون- تصحيح- محمد شرف الدين- رفعت بيلكه- دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1941- ص1014. عمر فلاح عبد الجبار- الوزير السلجوقي نظام الملك إصلاحاتها الإدارية وإسهاماته الفكرية- مجلة الجامعة العراقية- العدد 28- العراق- (د ت)- ص351.
- 35- هيفاء عبد الله علي البسام- المرجع السابق- ص167....36- هيفاء عبد الله علي البسام- المرجع السابق- ص173. أحمد كمال الدين حلبي- السلاجقة في التاريخ والحضارة- دار البحوث العلمية- الكويت- ط1- 1975- ص268....37- نفسه- ص38- مصطفى شاكر- التاريخ العربي والمؤرخون- ج2- دار العلم للملايين- بيروت- ط3- 1987- ص391....39- نظام الملك- المصدر السابق- ص228....40- نفسه - مقدّمة التحقيق- ص10....41- ابن الأثير- المصدر السابق- ج8- ص322....42- فحسب ابن ميسر، أنّ نظام بالشام منهم يقال لهم: "الحشيشية"، ومن كان بالموت يقال لهم: "الباطنية والملاحدة"، ومن كان بخراسان يقال لهم: "التعليمية"، وكلهم إسماعيلية، ينظر- ابن ميسر تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت677هـ/1278م)- المنتقى من أخبار مصر- انتقاء: المقرئ- تحقيق- أيمن فؤاد السيّد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية- القاهرة- 1981- ص102....43- نظام الملك- المصدر السابق- ص272.
- 44- ابن الأثير- المصدر السابق- ج 8- ص497. المقرئ تقي الدين علي بن أحمد (ت845هـ/1441م)- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء- تحقيق- محمد عبد القادر أحمد عطا- ج13- دار الكتب العلمية- بيروت- 2001- ص11. خواندمير- المصدر السابق- ص241. عارف تامر- المرجع السابق- ج4- ص11-12. إحسان إلي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد- إدارة ترجمان السنّة- باكستان- (د ت ط)- ص736.
- 45- الحشاشون، طائفة إسماعيلية، من أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق، انشقت عن الإسماعيلية الأصل في مصر لتدعو لإمامة نزار بن المستنصر بالله العبيدي، ومن جاء من نسله، أسسها الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة الموت في فارس مركزاً لنشر دعوته، وترسيخ

أركان دولته، وحشيش أو حشيشية، اسم عربي لأحد منتجات القنب الهندي (INDICA Cannabis)، واستُخدم في الشرق الأدنى منذ أزمنة قديمة كعقار له آثار مخدرة، وقد استخدم هذا العقار المسبب للهلوسة على نطاق واسع. وكان أول من تلقب بالحشيشية هم: النزارية؛ لأنهم كانوا يتناولون الحشيش قبل أن ينطلقوا في عمليات الاغتيال، ولذا ارتبطت كلمة حشاش في اللغات الأوروبية بكلمة "Assassin": أي: القاتل سقّ الدماء، ينظر- فرهايد دفتريخرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين- ترجمة- سيف الدين القصير- دار المدى للنقافة والنشر- دمشق-1996- صص 141، 142. بدوي جمال- الفاطمية دولة التفارح والتبارح- دار الشروق- القاهرة- ط1- 2004- صص 104.

46-البنداري- المصدر السابق- ص 226----47-المصدر السابق- ص108، 101----48-الحسيني-المصدر السابق- ص66.

49-الذهبي-المصدر السابق-ج19- ص 94. للتوسّع أكثر حول الجهود العلمية لنظام الملك الطوسي في مواجهة الوجود الشيعي بالمشرق الإسلامي، من خلال سلسلة المدارس التي أنشأها، والتي عرفت بالمدارس النظامية ينظر- عائشة تازي-الجهود العلمية لنظام الملك الطوسي في مقاومة الوجود الشيعي بالمشرق الإسلامي- مجلة الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية- العدد 19- جامعة الشلف- جانفي 2018----

50- نظام الملك- المصدر السابق- ص201----51- نفسه- ص97----52- نفسه- ص227----53-أحمد ناجي القيسي- الخواجة نظام الملك-فصل من كتاب تجارب السلف تأليف هندوشاه بن سنجر النخجواني- مجلة كلية الآداب- العدد 4- جامعة بغداد- 1961- صص 192----54- نظام الملك- المصدر السابق- ص227----55- نفسه- ص228----56- نفسه- ص195-197.

57- فقد ثبت عن محمود تتبّعه للرافضة والتضييق عليهم وقتلهم في كثير من الأحيان، ففي سنة (408هـ/1017م) بعث له الخليفة القادر بالله يأمره ببثّ السنة يخراسان ففعل ذلك وبالغ، حيث قتل جماعة كثيرة من الرافضة والإسماعيلية، وأمر بلعنهم على المنابر، " وصار ذلك سنّة في الإسلام"، وفي سنة (420هـ/1028م) بعث إلى دار الخلافة كتاباً يوضّح فيه أنه أوقع بجماعة من الباطنية البري وزعيمهم "رستم بن علي الديلمي"، كانوا قد جاھروا بسبّ الصحابة، وأبطنوا الكفر ومذهب الإباحة، وفي هذا دلالة واضحة على جهود محمود في مواجهة الرفض والباطنية في الأقاليم التابعة له، وقد قال محمود بن سبكتكين في خروجه ضدّ باطنية العراق: "كلّ هذا لأصقّي العراق من أصحاب المذاهب الخبيثة والمعتقدات السيئة في مدّة قليلة يعون الله عزّ وجلّ-، فالله تعالٰ خلقنا لهذا، وولّانا الخلق لنمحو المفسدين من على وجه المعمورة، ونحني أهل الصلاح، ونملأ الأرض عدلاً وسخاءً ورحمةً". ينظر- ابن العماد الحنبلي-المصدر السابق- ص 50. ابن كثير- المصدر السابق- ج6- ص 405. ابن الجوزي - المصدر السابق- ج15، ص ص 194-195. نظام الملك- المصدر السابق- ص 103----58-نظام الملك- المصدر السابق- ص196----59- نفسه- ص60----60- نفسه- ص61-ولعلّه يقصد هنا المسلمين بشكلي عام لأنّ السلاجقة في تلك المرحلة كانوا يشكلون إمبراطورية واسعة شملت معظم أرجاء المشرق الإسلامي----62-نظام الملك- المصدر السابق- ص198.